الخجل

أكتب من كوكب اخر.

ليس بحكم الفلك. وليس بحكم الجيوبوليتيكا.

أكتب من كوكب اخر.

إسمه الحزن تارة. والخجل طورا. الحزن يوما والخجل دوما. الحزن من واقع غير مبرر والخجل من الواقع ذاته.

أيها الاخوة والاخوات، سلام عليكم. وحتى يفهمني العرب جميعا فانني اخاطبكم باللغة الاكثر رواجا في هذه الايام: "شلوم عليخم"!.

ولما كنت غريقا منذ نيف وخمسة وثلاثين عاما فلا أخشى من بلل العام السادس والثلاثين.

أيها الاخوة والاخوات. انني اتصبب خجلا لاضطراري الى مخاطبتكم عبر "لندن" التي ربطت خيولها في مضافات ابائنا ودواوين اجدادنا. لندن التي تفاجئني حين اتجول في شوارعها بالف "اللنبي "واللنبي". واسمع من شرفاتها ومشارب بيرتها وفترياناتها ومسارحها صيحة.

ذلك الجنرال الفاتح الذي هتف حين دخل القدس ظافرا:"الان انتهت الحروب الصليبية!".

وكم تشظيت خجلا بالامس القريب حين لم اجد نافذة اطل عليكم عبرها غير باريس بونابارت وسالان!

أكاد اسمع صيحات احتجاجكم: ليست كل لندن اللنبي.. وليست كل باريس سالان.. أجل اعرف ذلك، بيد انني نهب الاحساس لا نهب المعرفة في هذا الزمن العسير. وسواء ادانتكم وغفرانكم فلقد طفح الكيل ولم يبق لي انا المنفي في ذاته الموجوء بالحسرة سوى ان ارجمكم بعاري.

أتكون لندن خلاصة الوطن العربي؟ اتصبح باريس نهاية مطاف اللغة العربية؟ لماذا لا استطيع مصافحتكم الا في المنفى؟ ولماذا احرم مواجهتكم بالقصيدة؟

يخيل الي ان كل شيء اصبح مترجما في هذه الايام. وانني لاتساءل احيانا باية لغة يتخاطب القوم في مؤتمرات القمة ومجالس الرئاسة. ويخيل الي ان الاشياء اخلت حيزها للظلال. ظل للغة. ظل للانسان. ظل للثورة. ظل للحضارة. ظل للجواد. ظل للدبابة. ظل لشجرة النخيل. ظل للنبي ظل للصحابة. ظل لماركس. ظل لتروتسكي ظل لله وظل للشيطان. لا شيء يرسخ في الحقيقة سوى تسيب العدوان والمعتدين والانكماش المذهل ازاء جنازير الغزو وحراب الاحتلال.

حتى أنا، الثائر الفلسطيني، الذي وهبكم الى حين حلم الخلاص تنقض علي البيانات الرسمية والجيوش الرسمية لتمسخني ظلا لنفسي.

وما أشد خجلي أيها الاخوة والاخوات حين أبوح لكم بما يعنيه لي اليوم قاموسنا العصري. فالقيادة تعني الحكم والزعامة تعني

الامريكي الاسرائيلي -الاردني- المصري. فقد توهم أصحاب هذا المخطط انهم من خلال اتفاق هنا ولجنة هناك ووعد امريكي ووعيد اسرائيلي وخضوع مصري وخنوع اردني، سيتمكنون في نهاية الامر من احكام قبضتهم على مقدرات الشعب الفلسطيني وتجريده من الحلم بعد تجريده من الجغرافيا. ولم يقدم حكام الاردن على اغلاق المكاتب الفلسطينية بالتنسيق مع اسيادهم الاسرائيليين واسياد اسيادهم الأمريكيين الا بعد ان تأكد لهم عجزهم عن اغلاق ابواب التاريخ في وجه خمسة ملايين فلسطيني اقسموا وتعاهدوا وتواعدوا على ان تكون لهم فلسطينهم الخاصة، أسوة بانغولا الانغوليين واندونيسيا الاندونيسيين ونيكاراغوا النيكاراغويين وقبرص القبارصة!

هذه هي المسألة.

لا حسد ولا يحسدون.

لا يأس ولا من ييأسون.

لا إنابة ولا من ينوبون.

هذه هي المسألة.

شعب حقيقي يريد وطنه الحقيقي .. مكاتب سياحة .. شواطيء، منازل، مدارس وخريطة ملونة كتب فوقها بالخط الديواني، وربما بالكوفي :(اهلا بكم في فلسطين) (فلسطين ترحب بكم) .. هذه هي المسألة.

والاتحاد ١٩٨٠